مجلة العلوم الإنسانية والحضارة ISSN 2661-7307
المجلد 08 ـ العدد 01 ـ السنة 2026 ص 29 – 40 EISSN 2773-4048
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/730
https://doi.org/10.34118/jhc.v8i1.4704

الجهود الإصلاحية والتعليمية للشيخ محمد الأمين بن فال الخير الحسني الشنقيطي

The reform efforts of Muhamad Al-AMIN BIN FAL AL KHAIR AL-HASSANI AL-SHINQITI

د. بوها محمد عبد الله سيدي *

المعهد العالي للبحوث والدراسات الإسلامية -موريتانيا- *lmaraghisi07@gmail.com*

تاريخ الإرسال: 2025/07/28 تاريخ القبول: 2025/11/30 تاريخ: النشر: 2026/01/01

الملخص:

محمد الأمين بن فال الخير الحسني الشنقيطي علامة ومربي ومصلح، كرس حياته لطلب العلم و التعليم وإصلاح المجتمع المسلم. خرج للاستزادة من العلم من موطنه الأصلي شنقيط قبل دخول المستعمر وبعد أن أمضى سنين بين الحواضر العلمية المختلفة، فكر في العودة لبلاده، فوجد المستعمر قد حل بها، فعدل عن فكرته وأخذ بالفتوى القائلة بضرورة الخروج عند دخول النصارى المستعمرين، وهي فتوى سمعت في القطر الشنقطي وتردد صداها في الحواضر والأرياف، فبدأ الشيخ يبحث عن مكان لإقامة مشروعه التعليمي والإصلاحي الكبير.

وقد وجد ابن فال الخير لمشروعه التعليمي والتربوي أرضية صالحة في مدينة الزبير بالعراق، ليستقر بها ويبدأ نشاطه الإصلاحي، و لتتحول عقبة الاستعمار التي حالت بينه والرجوع لبلاده إلى حافز دفع له للنهوض بالأجيال و تكوينهم التكوين المدافع عن الهوية بالقول والفعل، فأسس مدرسة النجاة بالزبير و خرج أجيالا من العلماء والساسة و قاوم الاستعمار البريطاني مقاومة ثقافية، بخطبه وفتاويه و ثبتت مشاركته في بعض المعاركة ضده، وسنحاول في هذه الورقة الوقوف عند بعض إسهامات الرجل وجهوده الإصلاحية.

الكلمات المفتاحية: الجهود الإصلاحية، بلاد شنقيط، ابن فال الخير الحسني،

* المؤلف المرسل

https://doi.org/10.34118/jhc.v8i1.4704

Abstract:

This study aims to highlight the efforts of Muhammed bin Fal al-khair al-Hassani al-shinqiti in the field of education and training, representing the shinqiti scientific Embqssy in Iraq.

Keyword: Ibn fal al-khair, Al- Hassani, Al-shinqiti.

مقدمة:

أخذت بلاد شنقيط[1] هذا الاسم من المدينة شنقيط التي كانت منطلق الحجيج من البلاد إلى الديار المقدسة وقد عرف الركب الشنقيطي بسعة علم الوافدين فيه خاصة في العلوم الشرعية واللغوية فأطلق عليهم الشناقطة تميزا لهم عن غيرهم وتحديدا لنمط من المعرفة يعتمد على الموسوعية العلمية وقوة الحفظ.

ويرى الخليل النحوي أن هذه التسمية أطلقت على البلاد بعد تأسيس المدينة واكسبتها شهرة كمدينة علمية، وأن أصل الكلمة بربري أو صنهاجي وأن من فسروه قالوا إن المعنى الحقيقي للكلمة هو "عيون الخيل "ومنهم العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم, وهناك من قال بعربيتها وأن أصلها هو "سن قيط" أي طرف جبل "قيط" [2].

وقد شاع العلم في هذه البلاد خلال قرون عديدة، إلا أن القرون الثلاث: 12 و13 وحتى 14 هجرية شكلوا أكثر هذه القرون انتشارا للعلم وظهورا لنوابغ العلماء المتبحرين في العلوم التي كانت معروفة في المنقطة .

فللعلماء الشناقطة جهود تعليمية وتربوية تجلت في مقرراتهم المحظرية، في محاظرهم القارة والمتنقلة، حيث استطاعوا من خلالها أن يتكيفوا مع بيئتهم الصحراوية والصعبة فجعلوها مدرسة متنقلة على ظهور العيس، يقول ابن بونا:

قد اتخذنا ظهور العيس مدرسة بها نبين دين الله تبيانا

وهذه الظاهرة تظهر شغف الشناقطة وحبهم لطلب العلم، وحرصهم على التعليم، وقلبت أيضا المقولة الحضارية مسلم بها، أن العلم حضري.

كما أن للعلماء الشناقطة حضور وتميز في المشرق، جسده علماء أفذاذ مثل العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم(1152هـ-1233هـ) صاحب مراقي السعود، الذي كان له حضور

https://doi.org/10.34118/jhc.v8i1.4704

مشهور في المشرق والمغرب وكانت للعلامة مجالس مشهودة مع السلطان المغربي العالم سيدي محمد بن عبد الله، وغيره.

و كذلك العلامة محمد محمود بن التلاميد (1254-1322هـ)الذي عرف بسعة علمه و فرادة عبقريته وعمق طرحه فذاع صيته وأفسح له في المجالس وفتحت له المكتبات الخاصة وأسند إليه تكليف من قبل السلطان العثماني في سفارة إلى أوروبا ممثلا للدولة في أحد المؤتمرات الاستشراقية كما أخذ تكليفا آخر يتعلق بفهرسة مكتبات الأندلس وفحص مخطوطاتها.

وليس وحده ابن التلاميذ فهناك أبناء مايابا وبخاصة محمد الأمين بن محمد الخضر بن مايابا(1905-1990م) الذي ذاع صيته في الآفاق وانتشر علمه، وتفطن حكام الأردن لعلمه و حكمته وحنكته، فولي منصب قاضي القضاة، وهو الذي ألف عنه الكاتب الأردني جعفر العقيلي كتابا حول جهوده الإصلاحية والتعليمية. وليس ببعيد عنهم حضور أحمد بن الأمين صاحب الوسيط(1872-1913م) في الحواضر العلمية في المشرق العربي وفي قازان وتركيا وهو من تصدى للرد على المستشرق الهولندي في كتابه طهارة العرب.

وكذلك العلامة محمد الأمين الشنقيطي(1325-1393هـ) صاحب كتاب أضواء البيان. وليس ببعيد عن هذه الكوكبة صاحبنا محمد الأمين ابن فال الخير(1293-1351هـ) الحسني العالم والمصلح والمجاهد الذي بدأ تعليمه مع المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية، وهما من محددات الهوية الشنقيطية، وبعد أن تضلع في المذهب المالكي، أخذ علم الحديث، والتفسير.

وتعد دراسة الجهود الإصلاحية لابن فال الخير موضوعا يحتاج إلى مزيد من التنقيب والبحث نظرا لإسهامات الرجل خاصة أنه لم يترك مؤلفات، باستثناء كتاب كتب فيه بعض مذكراته وأكمل بعد، تحدث فيها عن بعض المواقف التي مر بها، ولذلك ما يبرره، فالرجل طول عمره كان ساعيا للعمل، والبناء، فلم تترك له المنابر، والمدارس، والمجالس العلمية، فسحة من الوقت للتأليف، كما أنه لم يحظ حسب اعتقادنا بدراسات شاملة حول جهوده الإصلاحية، باستثناء العمل الجبار والوحيد الذي ألفه المؤرخ والشاعر العراقي :عبد اللطيف الدليشي الخالدي، ووسمه بعنوان: "من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة محمد الأمين الشنقيطي"، وقد جمع شهادات ممن عاصر الشيخ وأخذ عنه، حيث تتبع جهوده التربوية والتعليمة و مشاركته في الجهاد ضد البريطانيين، وهناك مراجع أخرى أشارت له بشكل مقتضب في سياق حضور الشناقطة في المشرق وتعتمد على المرجع نفسه.

https://doi.org/10.34118/jhc.v8i1.4704

ونحن هنا نعتمد أيضا وبالأساس في مادتنا المصدرية على هذا المرجع الوحيد دون أن تكون قراءة في الكتاب لأسباب موضوعية منها أن الكتاب شمل جونب عدة من بينها : ذكر للتاريخ الموريتاني: أصول السكان، الجغرافيا، وكذلك العديد من نصوص التراث الأدبية، وتحقيق بعض القضايا التي لا تمت بصلة مباشرة للجزئية البحثية التي اخترناها لهذا المقال، ومع ذلك نعتبره المصدر الأبرز لأي دراسة حول تاريخ الشيخ، ولأهمية هذا الموضوع كذلك كنا قد وجهنا إحدى طالباتنا -في بحثها لنيل شهادة الماستر- إلى دراسة جهود الشيخ ابن فال الخير وأشرفنا عليه، حيث قدمت قراءة مهمة تسهم إلى جانب مؤلف عبد اللطيف الدليشي - الذي هو المرجع الوحيد كما أسلفنا- في تشكيل مراجع حول إسهامات الشيخ المتعددة.

تتناول هذه الدراسة التجربة الإصلاحية لابن فال الخير معتمدة المنهج التاريخي والوصفي في تتبع مسارة التجربة.

1.حياته العلمية:

1.1 : حياته:

شهدت نهاية 19م وبداية القرن 20 ظهور المستعمر الفرنسي الذي فرض سيطرته على المنطقة بعد ولادة الشيخ ب 27 أو28 سنة أي أنه إبان طلوع المستعمر كان شابا يافعا إذ ولد العلامة الشيخ محمد الأمين بن فال الخير المكنى (أبو يوسف) أو (أبو عائشة) (في سنة 1293هـ- 1876م[3]، ولا يعرف بالتحديد مكان ميلاده وكانت عادة الشناقطة أن يبدأ الطفل الدراسة على إحدى النساء حتى يتجاوز مرحلة التهجي، ولا بد أن الشيخ بن فال الخير قد مر بهذه المرحلة، وإن كان أول ذكر لشيوخه، بدأ بخاله محمد بن عبد الله، وقد حفظ القرآن الكريم قبل البلوغ، وهي مسألة دأب عليها أهل القطر، خاصة الذين يولدون في محيط علمي كحال صاحبنا، وبعد خاله درس على عديد الفقهاء، فتنقل إلى العلامة محمد بن بنيامين الذي قال عنه أنه أكثر شيوخه نفعا له، ثم درس على عبدالله بن حمين، وأكثر ما قرأ عليه اللغة وعلومها. كما درس على الشيخ عبد القادر المجلسي، فعلى هؤلاء درس العلوم المعروفة في المحظرة الشنقيطية قبل أن ينطلق في رحلته العلمية إلى خارج البلاد. وحين اكتملت سيطرة الاحتلال الفرنسي على البلاد، قرر أن لا يعود إليها، وكأنه بذلك يأخذ برأي من رأى الهجرة[4] والخروج عن البلاد التي يسيطر عليها المخالفون في الملة، إن تعثر صدهم عنها، فاستقر في بلاد الحرمين برهة، يدرس، ويدرس، ويتبادل مسائل العلم، وقضاياه، مع كبار

https://doi.org/10.34118/jhc.v8i1.4704

العلماء، والمشايخ، وكان واعظا، ومرشدا، ومعلما. وحول صفاته سنورد شهادة تلميذه، وصديقه، مدير مدرسة النجاة بعده، حيث يقول: (كان رحمه عالما فاضلا وإماما في اللغة عالما بالشعر يحفظ الدواوين السبعة وكثيرا من شعر الجاهليين، والإسلاميين، كما كانت له اليد الطولى في علم الأنساب ويروى كتب الصحاح في الحديث ودرس علم أصول الحديث وأصول الفقه ويضيف كان كريما يؤثر على نفسه لا يرد حاجة محتاج يستطيع قضاءها لا يمسك سوى كتبه، حليم لا يستفزه جهل جاهل، شجاع لا تنال منه المصائب والنوائب رحب الصدر ...) تزوج لؤلؤة بنت السلطان من أهل الزبير وأنجبت له 3 من البنين و4 من البنات[5].

2.1 رحلته إلى المشرق:

لما تزود الشيخ محمد الأمين بن فال الخير من العلوم المحظرية وبرع في شتى فنونها، تاقت نفسه إلى المزيد من العلم، وقرر أن يتجه نحو المغرب والتي كانت بداية الرحلة لكثير من علماء هذه البلاد نحو بلاد المغرب والمشرق والحجاز فكانت بداية رحلته سنة 1318 هـ، فزار عددا من المدن المغربية كالصويرة ومراكش والدار البيضاء ورباط الفتح وطنجة ولم يلبث في كل منها إلا فترة وجيزة، وكان على تواصل مع كل من يزور المغرب من علماء بلاده وقد لقي في المغرب صديقه الشاعر محمد النشني أحد تلاميذ الشيخ ماء العينين وكان يلقب بالبسيطي[6]، ثم ليواصل رحلته باتجاه مصر سنة 1318 هـ، و بها لقي العلامة محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي –الذي سبقت الإشارة إليه- فاستقبله ورحب به واصطحبه إلى الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية حينها فرحب به ثم حجز له في جامع الأزهر مكانا وفي أواخر محرم من سنة 1319هـ توجه إلى مكة محرما بالحج ثم عاد إلى جدة ومنها إلى المدينة وهناك أصيب بالحمي وطالت إصابته بها وظل يعاني منها لسنتين تقريبا ومع ذلك كان يحضر دروس العلم حيث درس حديث البخاري على يد الشيخ علي ظاهر الوتري البغدادي[7] ودرس الفقه على علماء مغاربة وتردد على الشيخ عبد الجليل برادة[8] وتوجه إلى مكة التي كان ينوي منها العودة إلى بلاده لولا أن المرض أقعد شيخه وصديق والده الشيخ احمد سالم بن الحسن الديماني والذي كان قد درسه جانبا كبيرا من كتاب أقرب المسالك ومنظومة البدوي الشنقيطي في أنساب العرب، وغيرها، وبعد وفاة الشيخ أحمد سالم توجه بن فال الخير إلى العلامة أبي شعيب بن عبد الرحمن الدكالي[9] ودرس عليه ألفية بن مالك ورسالة إبن أبي زيد

https://doi.org/10.34118/jhc.v8i1.4704

القيرواني وبعض أبواب مختصر خليل ، ثم عاد حلم العودة إلى بلاده يراوده فعلم باحتلالها من طرف الفرنسيين فأزمع المقام في مكة[10].

في سنة 1326هـ وبعد رحيل شيخه شعيب توجه الشيخ بن فال الخير إلى الهند حيث لقي الشيخ عبد الوهاب الزياني من أهل البحرين وقصد بعد ذلك عمان ومنها توجه إلى البحرين ثم الأحساء فنزل عند مدرسة الشيخ أبي بكر وداوم على دروس الشيخ عيسى بن عكاس ودرس عليه كتاب بلوغ المرام ومنتقى الأخبار ، كما أخذ عن الشيخ عبد العزيز بن مبارك ثم توجه إلى الزبير في العراق في صفر من سنة 1327 هـ بعد أن جاءته رسالة من شيخه الدكالي بالذهاب إلى البصرة لتولى مدرستها ومسجدها بدلا منه، لم يجد بن فال الخير بدا من تلبية طلب شيخه، فسافر صحبة الشيخ عبد العزيز بن حمد آل مبارك من الأحساء إلى البحرين، وفي طريقه إلى الزبير نزل على الشيخ عبد الوهاب الزياني الذي تعرف عليه من قبل في الهند، ثم قصد الكويت وفيها بلغه خبر وفاة الشيخ مزعل السعدون، فأراد الرجوع غير أن عبد العزيز ألح عليه بالمواصلة، وعند وصوله وجد أن وصيا الشيخ مزعل قد وضعا رجلا مغربيا في المدرسة والمسجد، فنزل ضيفا على علي بن عبد الله بن عبد الرحمن البسام، وكان ينوي الرحيل إلى مكة، ولكن بعض الطلبة طلبوا منه أن يدرسهم بعض الدروس، هم في أمس الحاجة إليها فلما لاحظ أهل المدينة سعة علمه، وعمق فهمه، وحسن منهجه، طلبوا منه أن يقيم بينهم خدمة للعلم والدين، وبعد إلحاح كبير عدل الشيخ بن فال الخير عن الرحيل، وقرر الإقامة في مدينة الزبير، واستمر في التدريس والوعظ والإرشاد فما لبث أن طار ذكره، وتسابق الناس لحضور دروسه، وإرشاداته، فضاق المسجد بهم حتى صاروا يجلسون خارجه تحت أشعة شمس الصيف الحارقة، وفي شدة البرد شتاء، كل ذلك لمتابعة دروس الشيخ بن فال الخير الذي شكل مرحلة مضيئة من مراحل الإرشاد والتوجيه والتدريس حتى شاع خبره في المنطقة[11].

2. جهوده الإصلاحية والتربوية وجهاده:

1.2 جهوده التربوية والتعليمية:

كان للشيخ ابن فال الخير حضور مشهود من خلال كراسيه العلمية في عديد المساجد والجمعيات المختلفة، فقد دعاه مؤسس الجمعية الخيرية الكويتية فرحان الفهد الخالد الخضير إلى الكويت فأصبح مدرسا للحديث والفقه ومرشدا بهمة ونشاط، منكرا للمنكرات،

https://doi.org/10.34118/jhc.v8i1.4704

داعيا إلى الحرية الفكرية واصلاح العقيدة، رافعا لشعار: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وهذا المنهج حرص الشنقيطي على الالتزام به، وقد لقي قبولا منقطع النظير، في الشارع الكويتي حتى ضاق به حاكم الكويت حينها الشيخ مبارك الصباح، وخاف أن يقوم بالدعاية للخلافة العثمانية، فأمر بطرده من الكويت وتم إغلاق الجمعية الخيرية 1331 هـ - 1914 م لكن ابن فال الخير ظل متمسكا بأسلوبه، ولم يكن يخفي موقفه من الخلافة العثمانية، وبعد طرده توجه بن فال الخير إلى الزبير[12]، حاملا معه مشروعه الفكري والتربوي، بعد أن نشر منهجه في الجمعية الخيرية و بين الطلاب والمفكرين في الكويت.

بعد أن استقر المقام بالشيخ ابن فال الخير في مدينة الزبير سعى إلى تأسيس جمعية ومدرسة النجاة، فكانت البداية سنة 1340هـ - 1921م فتشكلت هيئة إدارية تقوم على تأسيس الجمعية، يترأسها الشيخ محمد الأمين الشنقيطي بمعونة نخبة من أهل العلم بينهم ناصر الأحمد والشيخ محمد العافي والشيخ أحمد الدايل والشيخ عبد الرزاق الدايل الحاج سليمان السويدان والشيخ محمد السند[13] وانتخبت الهيئة لجنتين :

- الأولى تعنى بتنقيح نظام الجمعية وتتكون من عبد الوهاب الطباطبائي والشيخ ناصر الأحمد والشيخ محمد العسافي والحاج سليمان السويدان.
- والثانية تعنى بتنقيح نظام التعليم في المدرسة وتتكون من الشيخ ومحمد الأمين الشنقيطي والشيخ ناصر الأحمد والشيخ محمد السند والشيخ محمد العوجان وفي سنة 1922مصادقت وزارة الداخلية على نظام الجمعية وصادقت وزارة المعارف على نظام التدريس فيها وتم تعديل نظام الجمعية بعد ذلك وصودق عليه سنة 1949م وفي سنة 1954م حيث صدر مرسوم بحل الجمعيات حيث اعتبرت جمعية النجاة من المنافع العامة [14]. وتم الترخيص لها من طرف وزارة الداخلية العراقية (1342-1922م). وبعد الترخيص للجمعية أعد القائمون عليها طلبا لترخيص مدرسة تابعة لها ضمن منهجها التأسيسي باسم –مدرسة النجاة الأهلية- فحصلت على الإذن بذلك في (8) كانون الثاني من سنة (1923م)، فجمعت لها التبرعات الكثيرة[15] .

بدأت الجمعية التدريس في مقر استأجره وأثثه الشيخ احمد المشاري ابراهيم وتم تعين مدرس مساعد للشيخ الشنقيطي وهو عبد الرزاق الدايل الذي نقل تلاميذه إليها، وبعد وقت قصير التحق بالمدرسة العديد من المعلمين نتيجة إقبال الناس عليها حيث التحق بها

https://doi.org/10.34118/jhc.v8i1.4704

الشيخ احمد خميس والشيخ علي السبيعي والشيخ احمد العوفج ...إلخ وبعد توسع المدرسة وتزايد أعداد طلابها اشترت الهيئة المشرفة عليها أرضا شيد عليه المقرر الجديد للمدرسة، وتزايدت أعداد الطلاب ففي سنة 1341هـ افتتحت السنة الدراسية ب 300 طالب و10 معلمين، وفي إطار تغطية نفقات المدرسة فقد كانت تقام أنشطة سنوية لجمع التبرعات، وفي نفس المسعى تحصلت على فتوى تجيز صرف الزكاة لصالحها[16].

وقد فتح نجاح مدرسة النجاة على الشيخ بن فال الخير بابا من الاستهدافات دارت تارة حول حرمة تدريس بعض المواد التطبيقية، وأحيانا حول تدريس الفتيات، فكان الشيخ يدرس العلوم الشرعية واللغوية وبعض العلوم الأخرى كالتاريخ والجغرافيا وعلوم الفلك وغيرها [17].، كما كان من حسنات مدرسته أن فتحت الباب أمام الفتيات لولوج تعليم ملتزم بالأخلاق والآداب و يرفع من شأنها في المجتمع، وبذلك صار عطاء مدرسة النجاة مشهودا، جعله الله في ميزان حسنات الشيخ بن فال الخير وإخوانه[18].

ومن ثمرات هذه المدرسة أن تخرجت منها نخبة من العلماء والمفكرين والساسة نذكر منهم: الدكاترة عبد الله وعبد العزيز وعبد الرحمن أبناء السيد إبراهيم البسام، والمحامي عبد الرزاق الحمود الذي كان نائبا في البرلمان العراقي...والأستاذ عبد الله الشبل الذي شغل عدة مناصب إدارية في مديرية الشرطة العامة، والشيخ ناصر الأحمد الذي تولى إدارة المدرسة بعد وفاة أستاذه الشنقيطي، والشيخ محمد العسافي، والأستاذ أحمد الحمد الصالح وغيرهم كثيرون ممن شغلوا مناصب القضاء الشرعي في المملكة العربية السعودية والخليج العربي والأردن"[19].

ونذكر هنا أن بن فال الخير مع تضلعه في المذهب المالكي، وملازمته للمحدثين وللمفسرين، ومع مسيرته العلمية الطويلة ومراجعاته للعلماء فقد أعجب بمنهج ابن تيمية وابن القيم ومنهج ابن كثير و تجديد محمدبن عبد الوهاب وعلى نهجهم سار ابن فال الخير في وعظه وإرشاده وتدريسه في مدينة الزبير، ملتزما بالكتاب والسنة ونهج السلف الصالح [20]

2.2 جهوده في الصحوة ومقاومة المستعمر:

وبهذا الفكر التجديدي خرج ابن فال الخير على المنهج التقليدي السائد في مدينة الزبير وبدأ يدعو إلى نهج السنة النبوية الصحيحة وينهى عن العادات المنافية للشرع والمعاملات المخالفة له، محذرا من انتهاك حرمات الله، فنهى عن الاختلاط، رغم أنه في المقابل أول من أفتى بتعليم

https://doi.org/10.34118/jhc.v8i1.4704

البنات وفسح أمامهم أبواب مدرسته، كما أنه نهى عن التوسل بالقبور، وتقديم القرابين لها والنذر لأرواح الصالحين، ونسب ذلك إلى الجهل بتعاليم الإسلام وألقى باللوم على العلماء في عدم تثقيف العامة، وشجع الإنفاق على المدارس الدينية. وبذلك لاقت آراء الشيخ صدى في نفوس العامة، وبعد هذا الإقبال اللافت على الشيخ استشير مدير ناحية الزبير الشيخ محمد بن عوجان وهو عالم تقي ورع عن الشنقيطي فأثنى عليه الشيخ عوجان وقال عنه أنه ينشر الإسلام الصحيح [21].

وكان للشيخ حضور لافت في سوح الجهاد، بالفتوى والصدع بالحق والوقوف في وجه المستعمر، فتمت مضايقته و متابعته وطرده والاعتداء عليه أحيانا أخرى، ومن تلك المواقف بعد أن دعته الجمعية الكويتية للتدريس والوعظ، أثار خطابه حساسية الساسة، وظهرت قوة الشيخ بن فال الخير وشجاعته حيث وقف ضد دعوة الأمير الكويتي إلى قمع الثوار من الشعب الذين ناصروا الجيش العثماني، ودافع عن موقفه بالحجة، والبرهان، وهو ما جعل البريطانيين يكيدون له، ولكن الله نجاه إذ أدرك بحدة ذكائه ما يراد به، فخرج بعون مجموعة من أصحابه متخفيا إلى مدينة الزبير.[22]

وفي البصرة بدأ يدعو إلى الجهاد في سبيل الله والدفاع عن الخلافة الإسلامية وصد الغزاة ، هذه الدعوة كان لها صدى في نفوس الناس والعلماء، فاصدر تجمع المشيخة الإسلامية فتوى تدعو إلى الجهاد في سبيل الله، وتجمع الروايات الموجودة حول جهاد بن فال الخير، إذ تشير بعض الروايات إلى مشاركته في معارك البصرة؛ حيث يذكر أنه شارك في بعض هذه المعارك؛ إذ لم يتوقف دوره على رفع همم المجاهدين، وتذكيرهم بما وعد الله به الشهداء، إنما شارك مشاركة فعالة في حركة إعلان الجهاد الإسلامي، وتبيان الموقف الشرعي للعلماء، وإرسال رسائل إليهم في شتى بقاع العالم الإسلامي، بضرورة نصرة ثغر البصرة، والجهاد ضد الإنجليز، وهو ما لقي استجابة، _سبق وأشرنا إليها_ فكان إجماع المشيخة على وجوب الجهاد [23].

وقد أكد لنا عبد اللطيف الدليشي الخالدي مشاركته الفعلية في معركة الشعيبة تحديدا واحتمالية مشاركته في غيرها، والمؤكد أنه شارك فيها جميعا، بالفتوى والخطب لشحذ الهمم، يقول الدليشي: "وإن كان اشتراك الشنقيطي في المعارك الساحلية لم يتأيد بصورة قطعية، فإن اشتراكه في معركة الشعيبة كان أمرا محققا بالإجماع، كما ذكر في مقال الأستاذ الشملان، وفي تاريخ الكويت في الصفحة (188) وما أكده تلميذه الشيخ محمد العساف، وكما

https://doi.org/10.34118/jhc.v8i1.4704

أشار إلى ذلك الدكتور علي الوردي في الصفحة (148) في الجزء الرابع من كتابه لمحات اجتماعية، ويؤكد شهود العيان أن الشقيطي اشترك في معركة الشعيبة مجاهدا بيده وهو يحمل البندقية، وبلسانه وهو يناشد المجاهدين الصدق في القتال والثبات في اللقاء، وكان كأحد المجاهدين في معية الشيخ عجمي السعدون"[24]

ولم تقتصر محاولات لبريطانين لاعتقاله واسكات صوته على العراق أو الكويت، فقد راسلوا الملك عبد العزيز آل سعود يطلبون تسليم الشنقيطي في القصيم يقول: الدليشي:"...كان من عادة الملك عبد العزيز السعود عندما يأتي إلى القصيم يزور محمد الشبيلي في داره، وعند زيارته له هذه المرة، وجد الشيخ الشنقيطي عنده في مجلسه، فرحب به، وآثره برضاه، وأثني على علمه وتقاه....لذا فقد راح الملك يحدث الشبيلي (معرضا) والشنقيطي يسمع – بأن الإنجليز قد كتبوا له طالبين تسليم الشنقيطي لهم، وطلب إلى الشبيلي أن يستطلع رأي الشنقيطي بذلك فعرض الشبيلي الأمر عليه بحضور الملك، ولكن الشنقيطي لم يرتبك ولم تبد عليه أي أثر من الغضب أو الانفعال، أو الخوف أو التأثر، أو طلب الحماية، أو ما أشبه ذلك، بل أجاب برباطة جأش، وهدوء قائلا: الرأي، رأي صاحب الجلالة، وله الحق في اتخاذ ما يراه الأصلح لسياسة بلاده، وشؤون مملكته، ولا لوم عليه في كل ما يفعل من أجل ذلك، فابتسم الملك، معجبا بشجاعته، ثم طمأنه بأنه أجاب الإنجليز بعدم الموافقة على تسليمه مهما كلف الأمر..."[25].

وبعد مسيرة حافلة بالعطاء المعرفي والإصلاح الفكري و المجتمعي، وجهاد ضد المستعمر وتحديدا في يوم الجمعة 14 جماد الثاني 1351هـ الموافق 13 أكتوبر 1932م توفي في مدينة الزبير، بعد أن أسهم في نهضتها وتكوين أجيالها ومقاومة مستعمرها، رحمه الله تعالى.

الخاتمة :

وختما يمكن أن نجمل جهود محمد الأمين بن فال الخير الحسني في أبعاد ثلاث، البعد التعليمي وهو المتجسد في سعيه لإنشاء جمعية ثم مدرسة وفق منهج تربوية خاص، زاوج فيه بين العلوم الشرعية وبعض العلوم الحديثة، وهو ما يمكن أن يطلق عليه "محظرة" عصرية. والبعد الثاني هو بعد اجتماعي كانت وسيلته الخطب والفتاوى، شحذ من خلالها الهمم و نهض بالقيم، وجعل المشروع الإصلاحي مشروع الجميع، حيث يشارك الجميع في عمارة المساجد وتمويل المدرسة وأنشطة الجمعية، فضلا عن تغيير العقليات وبناء الثقة في المرأة،

https://doi.org/10.34118/jhc.v8i1.4704

فمنع الاختلاط ودعا لتعليم البنات وفتح أمامهن الأقسام للتمدرس لأول مرة في الزبير وفي العراق عموما وربما في المنطقة. والبعد الثالث البعد الجهادي فالشيخ عمل على مقارعة الاستعمار ووقف في وجهه وعارض من تعاملوا معه، وشارك بنفسه في بعض المعارك فكان عند الناس عالما مجددا صادقا في أقواله وأفعاله رحمه الله تعالى.

وفي ختام هذا المقال نقترح أن تُدْرس وتُدَرس تجربة ابن فال الخير في التعليم والتربية في مجتمعاتنا، وتدرج في مقررتنا ومناهجنا لتلهم الجيل المعاصر ليحافظ على الهوية الإسلامية الجامعة في وجه أي غزو أجنبي.

المراجع:

- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط،:أحمد بن الأمين الشنقيطي.
- بلاد شنقيط المنارة والرباط، الخليل النحوي.
- من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة محمد الأمين الشنقيطي، عبد اللطيف الدليشي الخالدي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العراق، ط:1، سنة:1401هـ1981م
- المجموعة الكبرى لفتاوي غرب الصحراء، ولد البراء، ج2،
- الجهود الإصلاحية للعلامة الشيخ محمد بن فال الخير الحسني، مانه يوسف، بحث تخرج ماستر التاريخ والحضارة بالمعهد العالي، 2023-2024

الهوامش

[1]: عرفت ببلاد شنقيط نسبة إلى مدينة شنقيط التاريخة في شمال البلاد وهي منطقة تجمع للحجاج من غرب إفريقيا عامة وموريتانيا خاصة، وقد تأسست هذه المدينة سنة 800هـ، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط،:محمد بن الأمين الشنقيطي ص:412

[2] : بلاد شنقيط المنارة والرباط، سابق، ص:72. .

[3] : من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة محمد الأمين الشنقيطي، عبد اللطيف الدليشي الخالدي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العراق، ط:1، سنة:1401هـ1981م ص:11.

[4] : من أمثلة ذلك فتوي الشيخ الخضر بن سيدي عبد الله بن أحمد(مايابا) ت:1354هـ-1935م، فقيه ومحدث، كان من الذاهبين إلى وجوب الجهاد أو الهجرة عن البلاد التي أحتلها الفرنسيون، المجموعة الكبرى لفتاوي غرب الصحراء، ولد البراء، ج2، ص:213

[5] : من أعلام الفكر الإسلام،سابق، ص:13-14-15-16.

[6] :لكثرة شعره في بحر البسيط.

https://doi.org/10.34118/jhc.v8i1.4704

[7] :محدث المدينة في عصره، ويذكر صاحب الوسيط قصة وقع له أي الوتري مع بن التلاميد، الذي كان هو الآخر يحضر مجلسه،ص:382.

[8] :عاش بين:1240-1327هـ

[9] :فقيه محدث مغربي عاش بين:1295-1356هـ، تولى الخطابة في الحرم المكي، وكان يفتي في المذاهب الأربعة رحمه الله تعالى.

[10] :من أعلام الفكر الإسلام في البصرة، سابق، ص ص:65 حتى83.

[11] :السابق:88 حتى 93.

[12] : نفسه، ص:103-106.

[13] :من أعلام البصرة...ص:177

[14] :الجهود الإصلاحية للعلامة بن فال الخير، رسالة ماستر مرجع سابق،ص:50

[15] : من أعلام الفكر الإسلامي البصرة:177.

[16] :نفسه، ص:178.

[17] :نفسه، ص:170-173

[18] :من أعلام البصرة، ص:180.

[19] :من أعلام البصرة، ص:179

[20][20] :من أعلام البصرة، ص:97.

[21] :الجهود الإصلاحية للعلامة الشيخ محمد بن فال الخير الحسني، مانه يوسف، بحث تخرج ماستر التاريخ والحضارة بالمعهد العالي، 2023-2024، أشرفنا عليه، ص:45-47.

[22] : من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة، سابق، ص:103-106.

[23][23] :الجهود الإصلاحية للعلامة محمد بن فال الخير، سابق، ص:60

[24] : من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة، ص:139.

[25] :نفسه، ص:146